دراسات يهودية وإسرائيلية ٢٢

جيش ليس ككل الجيوش

كيف زيَّف جيش الدفاع الإسرائيلي أمة

بنـاءً علـى اتفـاق ملـزِم مـع الناشـر الأجنبـي ترجمـة قانونيـة كاملـة مـن الأصـل الصـادر باللغـة الإنجليزيـة:

First published in English under the title
An Army like No Other. How the Israel Defense Forces Made a Nation
First Published by Verso 2020.
© Haim Bresheeth-Žabner 2020
Verso
London. New York
UK: 6 Meard Street, London W1F 0EG
US: 388 Atlantic Avenue, Brookly

جيش ليس ككل الجيوش

كيف زيَّف جيش الدفاع الإسرائيلي أمة

حاييم بريشيت زابنر

ترجمة

نصار عبد اللّه **عمرو نصار**

مراجعة

نصار عبد اللّه

RED SEA
البحر الأحمر

جيش ليس ككل الجيوش

كيف زَيّف جيش الدفاع الإسرائيلي أمة

حاييم بريشيت زابنر

ترجمة: نصار عبد الله - عمرو نصار

الطبعة الأولى

القاهرة 2025

رقم الإيداع: 4574/ 2025

الترقيم الدولي: ISBN: 978 - 977 - 8836 - 61 - 5

"الآراء التي يتضمنها هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن وجهة نظر مكتبة البحر الأحمر".

مكتبة البحر الأحمر

42 ش ماري جرجس- مجمع الأديان - المنطقة السياحية - مصر القديمة - القاهرة.

هاتف: 002027412286

محمول: 00201144418191

www.redseabookstores.com

E-mail:info@redseabookstores.com

السلسلة

تهدف هذه السلسلة إلى تأمين مصدر معرفي موثوق في موضوعيته ومنهجيته عما يكتبه المستشرقون اليهود والإسرائيليون عن الإسلام واليهودية والعرب وإسرائيل، وكذا إسهامات الباحثين العرب في مجالات الدراسات اليهودية والإسرائيلية والعبرية، انطلاقًا من أهمية الانفتاح على الآخر وإعمال الحُجة والمنطق دون تعصبات دينية، أو قومية، أو علمية؛ بغية الوصول إلى جيل ذي مرجعية علمية منفتحة.

المشرف العام على السلسلة: الأستاذ الدكتور أحمد هويدي، أستاذ اللغة العبرية بكلية الآداب جامعة القاهرة.

الآراء الواردة في هذه السلسلة تعبر فقط عن كُتّابها.

المشاركون في الكتاب:

المؤلف: حاييم بريشيت زابنر

ضابط سابق في جيش الدفاع الإسرائيلي، لكنه ترك الخدمة العسكرية تحت وطأة ما عاناه ضميره من معايشة للفظائع الإسرائيلية.

هو الآن صانع أفلام ومؤرخ وأكاديمي إسرائيلي مناهض للصهيونية، يعمل حاليًا في كلية الدراسات الشرقية والإفريقية بجامعة لندن. وهو معروف بأعماله النقدية حول السينما الإسرائيلية والصراع الفلسطيني – الإسرائيلي.

من أهم كتبه: «مدخل إلى الهولوكوست»، وهو الكتاب الذي كان قد صدر تحت عنوان مختلف هو «الهولوكوست للمبتدئين»، الذي كتبه بالمشاركة مع ستيوارت هوود. كما قام بتحرير عدد من الكتب منها: «حرب الخليج والنظام العالمي»، و «فلسطين: قصة احتلال».

يركز في تحليلاته على كيفية تأثير العسكرة على المجتمع الإسرائيلي، وكيف أن التجربة العسكرية تشكل جزءًا أساسًا من الهوية الإسرائيلية. كما يركز أيضًا على كيفية استخدام السينما والثقافة الشعبية لتعزيز العسكرة في المجتمع الإسرائيلي.

إن ما يميز أعمال بريشيت – زابنر هو نظرته النقدية العميقة للمجتمع الإسرائيلي من الداخل، مع تركيزه على دور الجيش في تشكيل الثقافة والهوية الإسرائيلية، وتقديمه تحليلاً نقديًّا للصهيونية وتأثيرها على المجتمع الإسرائيلي والفلسطيني. ويعتبر من الأصوات النقدية المهمة في هذا الخصوص حيث تقدم كتاباته رؤية عميقة لفهم الديناميكيات الداخلية للمجتمع الإسرائيلي وعلاقته بالصراع مع الفلسطينيين.

المترجم: نصار عبد الله

- شاعر وكاتب وباحث أكاديمي متعدد الاهتمامات.
- درس الاقتصاد والعلوم السياسية والقانون والفلسفة ، وهو يعمل حاليًا أستاذًا متفرغًا للفلسفة السياسية بجامعة سوهاج.
- قدم للمكتبة العربية عددًا من الأعمال الإبداعية فى مجالات: الشعر والقصة والمسرح، فضلا عن بعض الدراسات الأكاديمية الرائدة في أكثر من مجال، وقد كانت أعماله الشعرية موضوعًا لعدد من رسائل الماجستير والدكتوراه.
- من مؤلفاته في مجال الفلسفة السياسية «فلسفة العدل الاجتماعي»، «مدخل إلى نظرية الحرب العادلة»، «فلسفة برتراند راسل السياسية» ومن ترجماته فى هذا المجال: «أعلام الفلسفة السياسية المعاصرة» الذى أعادت سلسلة مكتبة الأسرة طبعه أكثر من مرة.
- ترجم أو شارك في ترجمة عدد من الأعمال الهامة فى أكثر من مجال، كما قام بمراجعة عدد كبير من الترجمات التي قام بها مترجمون آخرون.

- حصل على العديد من الأوسمة والجوائز المصرية والعربية والعالمية، وفى مقدمتها جائزة الدولة التقديرية في الآداب ووسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى.

المترجم: عمرو نصار:

- باحث وأكاديمي مصري له اهتمامات عدة، يعمل حاليًا مدرسًا للأدب الإنجليزي والدراسات الأدبية.

- حصل على الماجستير في الشعر والأسلوبية. كما حصل على الدكتوراة في الدراسات الأدبية ودراسات الذاكرة وهو اهتمامه الرئيس.

مُهدَى إلى ذكرى والديّ الراحلين:

آري (ليب) زابنروماشلا زابنر-زيلبربيرج، وإلى محبوبتي يوسفا لوشيتسكي

«إن أكثر ما يجعلنا نشعر بالإحباط إزاء التاريخ هو أن الكثير مما فيه يفلت من اللغة، كما يفلت من الانتباه ومن الذاكرة».

إدوارد سعيد

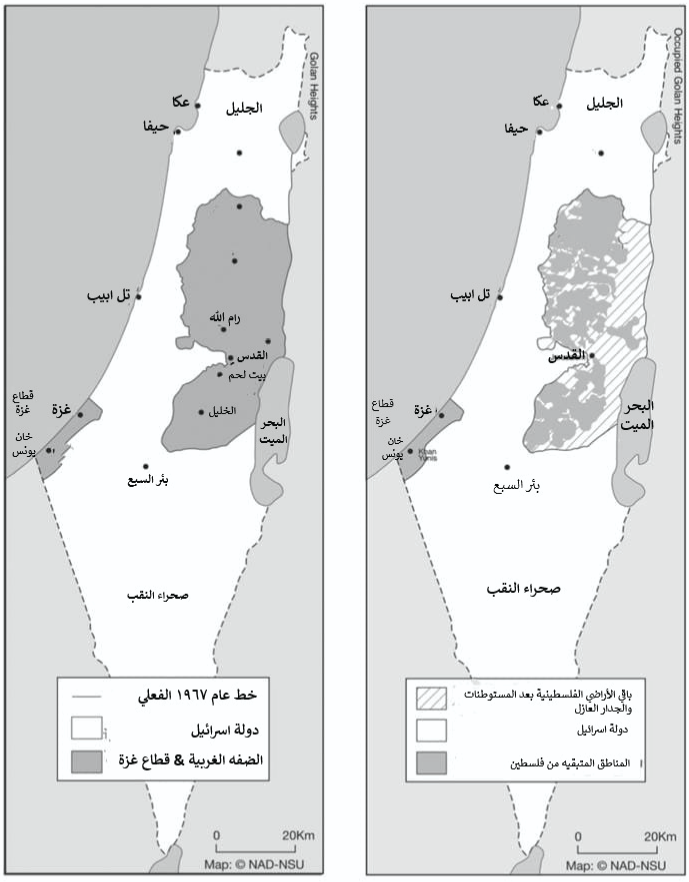
Occupied Golan Heights
الجليل
عكا
حيفا
تل ابيب
القدس
البحر
الميت
غزة
قطاع
غزة
خان
يونس
Khan
Yunis
بئر السبع
صحراء النقب
باقي الأراضي الفلسطينية بعد المستوطنات
والجدار العازل
دولة اسرائيل
المناطق المتبقيه من فلسطين
0
20Km
Map: © NAD-NSU
Golan Heights
الجليل
عكا
حيفا
تل ابيب
رام الله
القدس
بيت لحم
الخليل
البحر
الميت
غزة
قطاع
غزة
خان
يونس
بئر السبع
صحراء النقب
خط عام ١٩٦٧ الفعلي
دولة اسرائيل
الضفه الغربية & قطاع غزة
0
20Km
Map: © NAD-NSU

خطة تقسيم الأمم المتحدة ١٩٤٧

فلسطين

فهرس المحتويات

المقدمة ٢٩
أساطير الصهيونية ٣٨
جيش الدفاع الإسرائيلي: بوتقة الأمة الجديدة ٤٤
عن الهولوكوست ٥٦
نظرة عامة على الكتاب ٦٢
ملاحظات الكاتب ٦٨
١ أصول جيش الدفاع الإسرائيلي ٧١
بدايات التنظيم العسكري ٧٧
بناء الأمة ٨٤
المراحل الرئيسة للعسكرة ٩٠
فرص الحرب العالمية الثانية ٩٥
إفلات جيش الدفاع الإسرائيلي وإسرائيل من العقاب ١٠٤
الأنماط طويلة الأمد الناشئة في جيش الدفاع الإسرائيلي ١٠٨
ملاحظات الكاتب ١٢٩
٢ حرب ١٩٤٨ ..... ١٣٥
لقد استعدت الصهيونية للحرب ١٣٨
النكبة – الخطة والتنفيذ ١٥٣
حرب ١٩٤٨ ..... ١٥٤
ملاحظات الكاتب ١٧١
٣ حرب ١٩٥٦ ..... ١٧٥
الدور المعقد الذي لعبته بريطانيا بعد عام ١٩٤٨ ..... ١٧٥

حلف بغداد ١٨١
المنظور الفرنسي ١٨٣
اغتنام الفرصة ١٨٥
العلاقة بين إسرائيل وفرنسا ١٨٨
«الخطط الهجومية الإسرائيلية و «قضية لافون»» ١٩٠
عبد الناصر والقومية العربية ١٩٧
عملية المسكيتير «الفرسان» وخلفيتها ٢٠٠
نتائج الحرب ٢٠٥
ملاحظات الكاتب ٢١٣
٤ حرب ١٩٦٧ ..... ٢١٧
صعود القومية العربية ٢٢١
الركود الإسرائيلي ٢٢٥
الحرب كحل للاضطرابات الاجتماعية ٢٢٨
التحضير للهجوم ٢٣٣
تبعات حرب ١٩٦٧ ..... ٢٣٨
مراحل الحرب ٢٤٠
الإمبراطورية الإسرائيلية الجديدة والمستوطنات ٢٤٦
المعضلة: الأراضي مقابل الشعب ٢٥٦
ملاحظات الكاتب ٢٥٨
٥ حرب ١٩٧٣ ..... ٢٦١
الفترة الفاصلة بعد عام ١٩٦٧ ..... ٢٦١
تصور جيش الدفاع الإسرائيلي ٢٦٥
السياق العالمي ٢٦٦
الخداع الأعظم ٢٦٩
إسرائيل تلجمها المفاجأة ٢٧٤

نتائج الحرب ٢٧٩
ملاحظات الكاتب ٢٨٦
٦ أطول حرب خاضتها إسرائيل: حرب لبنان، ١٩٨٢-٢٠٠٠ ..... ٢٨٩
مختبر الحرب التابع لجيش الدفاع الإسرائيلي ٢٨٩
لبنان وخلفيته المعقدة ٢٩٠
جيش الدفاع الإسرائيلي كجزء من المأزق اللبناني ٢٩٧
حرب جيش الدفاع الإسرائيلي على منظمة التحرير الفلسطينية ٣٠٠
شبكة الأكاذيب الإسرائيلية ٣٠٢
الحرب ضد المدنيين ٣٠٦
هل خدع شارون مجلس الوزراء الإسرائيلي حقًا؟ ٣٠٩
تدمير بيروت للإطاحة بعرفات ٣١٣
تمهيد للمذبحة ٣١٥
العواقب: شارون كبش فداء لجيش الدفاع الإسرائيلي ٣١٩
مثالب جيش الدفاع الإسرائيلي في لبنان ٣٢٢
ملاحظات الكاتب ٣٢٩
٧ لبنان: ٢٠٠٦ إخفاق إسرائيل في الحرب ضد حزب الله ٣٣٣
نهاية الحرب الأهلية ٣٣٤
الحرب في المناطق الحضرية و»الفن العملياتي» ٣٣٩
بداية الحرب ٣٤٧
الفجوة بين الخطط والواقع ٣٤٨
فعالية حزب الله والأضرار التي لحقت بإسرائيل ٣٥٤
العواقب ٣٥٩
ملاحظات الكاتب ٣٦٤
الجزء الثاني: الجيش ودولته ٣٦٧
٨ مشروع المستوطنات المسلحة ٣٦٨

ملاحظات الكاتب ٣٨٥
٩ الانتفاضة الأولى واتفاقيات أوسلو ٣٨٧
تداعيات الانتفاضة الأولى ٣٩٦
ملاحظات الكاتب ٤١٣
١٠ المجمع الصناعي العسكري الإسرائيلي ٤١٥
لماذا أصبحت إسرائيل أكبر متلق للمساعدات الأميركية من حيث نصيب الفرد؟ ٤٢٧
الأهداف السياسية لتجارة الأسلحة الإسرائيلية ٤٣٥
هل يتم التخلص التدريجي من الأسلحة حقًا؟ ٤٤٥
وظائف تجارة الأسلحة بالنسبة لإسرائيل ٤٤٧
ملاحظات الكاتب ٤٥٠
١١ جيش الدفاع اليوم ٤٥٣
تحويل جندي جيش الدفاع الإسرائيلي إلى طفل ٤٦٦
ملاحظات الكاتب ٤٦٨
الجزء الثالث: ما هو مصير إسرائيل؟ ٤٧٠
١٢ هل إسرائيل أكثر انقسامًا من أي وقت مضى؟ ٤٧١
الاقتصاد السياسي للاستيطان ٤٨٤
ملاحظات الكاتب ٥٠٠
١٣ هل إسرائيل ديمقراطية؟ ٥٠٣
ملاحظات الكاتب ٥٢٥
الخاتمة: هل يمكن أن توجد إسرائيل أخرى؟ ٥٢٧
هل كان من الممكن أن تكون إسرائيل مختلفة؟ ٥٢٩
الانخراط المباشر لجيش الدفاع في السياسة ٥٣٤
المزاعم الثقافية للصهيونية المتطرفة ٥٣٨
أسطورة الشعب المختار ٥٣٨
التعصب باعتباره تقليدًا ٥٤١

ممارسة الحرمان الكنسي للمنتقدين..... ٥٤٣
ممارسة العزلة والانفصال..... ٥٤٤
الخصوصية العسكرية بدلًا من الإنسانية العالمية ٥٤٦
ملاحظات الكاتب ٥٥١

تصدير المترجم

يقدم هذا الكتاب تحليلاً عميقًا للمفارقة التاريخية المأساوية التي جعلت ضحايا المحرقة النازية (الهولوكوست) مشاركين في مأساة الشعب الفلسطيني - النكبة. فالناجون من معسكرات الموت النازية، الذين عانوا من أبشع أشكال الاضطهاد والتهجير في التاريخ الحديث، جعلوا من أنفسهم جزءًا من مشروع استعماري أدى إلى تهجير وتشريد شعب آخر من أرضه. وهنا نشير إلى مفارقة توقف عندها المؤلف تكمن في تسمية الجيش الإسرائيلي بجيش "الدفاع" في أنه لم يكن أبدًا جيشًا للدفاع، بل هو جيش للهجوم، وقد وصفه بذلك بالفعل موشيه ديان. والواقع أن الموقف الوحيد الذي كان فيه الجيش الإسرائيلي في موقف للدفاع هو حرب أكتوبر/ تشرين ١٩٧٣ وحينها عجز عن الدفاع، ولولا التدخل الأمريكي والدعم اللامتناهي لتغيرت الأمور.

وقد قام المؤلف - الذي هو ابن لناجيين من المحرقة- قام بتوثيق الكيفية التي تحول بها مجتمع الضحايا إلى قوة عسكرية محتلة، وكيف أصبح الجيش الإسرائيلي أداة مركزية في بناء الدولة والهوية الإسرائيلية. فمن حرب ١٩٤٨، مرورًا بحرب ١٩٥٦، وحرب ١٩٦٧، وحرب ١٩٧٣، والحرب على لبنان، تطور الجيش الإسرائيلي من قوة تزعم أنها "دفاعية" إلى آلة حرب هجومية تستخدم القوة المفرطة وتمارس سياسة العقاب الجماعي. حيث يكشف الكتاب كيف أن الصدمة العميقة للمحرقة، بدلاً من أن تؤدي إلى تعاطف مع ضحايا الظلم والاضطهاد، وُظفت لتبرير سياسات التهجير والاحتلال. فأصبح الفلسطينيون في المنفى والشتات، مثلما كان اليهود في الشتات قبل المحرقة، ضحايا لسياسات التطهير العرقي والتهجير القسري. وكما عانى اليهود من معاداة السامية والاضطهاد في أوروبا، يعاني الفلسطينيون اليوم من سياسات التمييز العنصري والحرمان من حقوقهم الأساسية.

ويناقش المؤلف التحول العميق في المجتمع الإسرائيلي من "أهل الكتاب" إلى "أهل السلاح"، وكيف أصبح الجيش الإسرائيلي العمود الفقري للمشروع الصهيوني وأداة أساسية في تشكيل الهوية القومية الإسرائيلية. فالعسكرة المتزايدة للمجتمع

الإسرائيلي، والاعتماد المفرط على القوة العسكرية، أديا إلى خلق دورة من العنف لا تنتهي. فمن من المفارقات المؤلمة أن إسرائيل، التي تأسست كملجأ لليهود الفارين من الاضطهاد، قد تحولت إلى قوة اضطهاد تمارس سياسات مشابهة لتلك التي عانى منها اليهود في الماضي. فكما كان اليهود ضحايا للنازية، أصبح الفلسطينيون ضحايا للسياسات الإسرائيلية التي تحرمهم من حقوقهم الأساسية في العودة إلى وطنهم والعيش بكرامة.

يكشف الجزء الأول من الكتاب كيف أن ذاكرة المحرقة أصبحت أداة سياسية تستخدم لتبرير الاحتلال والتوسع الاستيطاني، وكيف أن الخوف من تكرار المحرقة تحول إلى ذريعة لممارسة العنف ضد الآخرين. فبدلاً من استخلاص دروس إنسانية من المحرقة تؤكد على قيم العدالة والمساواة وحقوق الإنسان، فقد وُظفت ذكراها لتبرير سياسات القمع والتهجير. ويتأمل المؤلف كل الحروب التي خاضتها إسرائيل ليصل إلى حقيقة أن إسرائيل كيان استعماري لا يعرف سوى لغة الحرب إلى الدرجة التي يفقد فيها الإسرائيليون الأمان إذا حل السلام. كما يستعرض في الجزء الثاني العلاقة العميقة بين الجيش الإسرائيلي والدولة، وكيف تستند كل مؤسسات الدولة على الجيش الإسرائيلي.

إن هذا التحليل النقدي يدعونا إلى إعادة النظر في العلاقة بين المحرقة والنكبة، وكيف يمكن لضحايا الظلم أن يتحولوا إلى مرتكبيه. كما يطرح أسئلة جوهرية حول مستقبل الصراع وإمكانية كسر دورة العنف المستمرة منذ عقود.

يختتم المؤلف هذا الكتاب بجزء ثالث يحمل عنوان "الختام: إلى أين تتجه إسرائيل؟" وهو يقدم تحليلاً عميقًا ونقديًا للمجتمع الإسرائيلي المعاصر وتناقضاته الداخلية. ويتكون هذا الجزء من فصلين رئيسين يتناولان الانقسامات الداخلية في إسرائيل وطبيعة نظامها السياسي. حيث يناقش الفصل الحادي عشر الانقسامات العميقة في المجتمع الإسرائيلي بين مختلف الفئات: الأشكناز والسفارديم والمتدينين والعلمانيين والمستوطنين والفلسطينيين داخل إسرائيل. ويبين كيف أن هذه الانقسامات تزداد

حدة مع مرور الوقت. كما يركز الفصل الثاني على طبيعة النظام السياسي الإسرائيلي، ويطرح سؤالاً جوهريًا حول ما إذا كانت إسرائيل دولة ديمقراطية حقًا. ويقدم تحليلاً نقديًا للممارسات غير الديمقراطية وسياسات التمييز العنصري.

وهكذا، تستند الأهمية النقدية لهذا الجزء إلى تفكيك الأسطورة القائلة بأن إسرائيل هى "الديمقراطية الوحيدة في الشرق الأوسط"، وكشف التناقضات البنيوية في المشروع الصهيوني، وتحليل دور الجيش في تشكيل المجتمع الإسرائيلي، واستشراف مستقبل إسرائيل في ظل تزايد الانقسامات الداخلية. ومن ثمّ، يختتم المؤلف بتحذير من أن إسرائيل تتجه نحو مزيد من التطرف والعنصرية، مما قد يؤدي إلى انفجار داخلي أو كارثة إقليمية ما لم يتم معالجة هذه القضايا الجوهرية. ويقدم هذا الجزء الختامي تحليلاً متوازنًا ومعمقًا يساعد على فهم التحديات التي تواجه إسرائيل والمنطقة ككل.

وربما يكون من المناسب هنا أن نشير بشكل موجز إلى تاريخ فلسطين وإلى نشأة الصهيونية في إطار وضع سياق للصراع الفلسطيني الإسرائيلي. إذ تحمل أرض فلسطين في تربتها قصص حضارات لا تحصى نشأت وسقطت عبر آلاف السنين. قبل أن تصبح محور التوترات الجيوسياسية الحديثة، كانت هذه المنطقة مهدًا للعديد من الحضارات، شاهدة على نشأة وتطور أنماط الاستيطان البشري التي شكلت مسار التاريخ العالمي. حيث تكشف الأدلة الأثرية عن وجود بشري في فلسطين يعود إلى العصر الحجري القديم الأسفل، قبل حوالي ١,٥ مليون سنة. حيث اُكتشفت مستوطنات بشرية مبكرة في جميع أنحاء المنطقة، مع اكتشافات مهمة في وادي الأردن والمناطق الساحلية. كما طور هؤلاء السكان الأوائل من الصيادين وجامعي الثمار تدريجيًا أدوات وهياكل اجتماعية أكثر تطورًا.

لقد شكلت الثقافة النطوفية، التي ازدهرت بين ١٤,٥٠٠ و ١١,٥٠٠ سنة مضت، فترة انتقالية حاسمة في تاريخ البشرية. إذ كان هؤلاء من أوائل من أسسوا مستوطنات دائمة وطوروا ممارسات زراعية مبكرة، واضعين الأساس للحضارات المعقدة التي ستأتي لاحقًا. توفر مستوطناتهم، خاصة في جبل الكرمل وتلال القدس، بعضًا من أقدم الأدلة على الاستيطان البشري الدائم في العالم.

أما فجر الحضارة الحضرية في فلسطين فقد بدأ خلال العصر البرونزي المبكر (٣٣٠٠-٢١٠٠ قبل الميلاد). حيث شهدت هذه الفترة ظهور المدن الأولى، مع هياكل اجتماعية معقدة وممارسات ثقافية متطورة. وهكذا، برز الكنعانيون كثقافة مهيمنة خلال هذه الفترة، مؤسسين شبكة من دول المدن التي ستؤثر على المنطقة لآلاف السنين. فالكنعانيون، خلافاً للروايات التاريخية السابقة التي صورتهم ببساطة كأسلاف للثقافات اللاحقة، حافظوا على حضارة غنية ومعقدة. طوروا تقنيات زراعية متقدمة، وابتكروا أساليب فخارية متطورة، وأسسوا شبكات تجارية وصلت إلى مصر وبلاد ما بين النهرين. وأما لغتهم، التي تنتمي إلى عائلة اللغات السامية الشمالية الغربية، أثرت لاحقًا على العبرية والفينيقية.

لقد ازدهرت الحضارة الكنعانية بين ٣٠٠٠-١٢٠٠ قبل الميلاد، مؤسسة ثقافة حضرية متطورة تركت بصمة لا تمحى على المنطقة. كان مجتمعهم منظما حول دول المدن، لكل منها حاكمها الخاص، رغم أنهم تشاركوا في الممارسات الثقافية والدينية المشتركة. شملت المدن الكنعانية الرئيسة:

* أريحا، التي تتميز بكونها واحدة من أقدم المدن المأهولة باستمرار في العالم، يعود تاريخها إلى ١٠٠٠٠ قبل الميلاد. كما كانت المدينة مركزًا مهمًا للتجارة والزراعة، مستفيدة من موقعها الاستراتيجي ومصادر المياه الوفيرة.

* القدس، التي كانت تُعرف باسم أورو-ساليم، تأسست كمدينة كنعانية حوالي ٢٠٠٠ قبل الميلاد. بل وتكشف الأدلة الأثرية عن مركز حضري متطور مع تحصينات قوية وأنظمة معقدة لإدارة المياه.

* مجدو، التي سيطرت على طرق تجارية حاسمة وأصبحت واحدة من أهم المدن في المنطقة، كما أظهرت القدرات المعمارية والهندسية المتقدمة للحضارة الكنعانية.

ومن ثم، طور الكنعانيون تقاليد دينية غنية أثرت على الثقافات اللاحقة في المنطقة. وقد شمل معبودهم العديد من الآلهة، مع إيل كإله أعلى وبعل كإله العواصف والخصوبة. ولهذا، أثرت هذه الممارسات والمعتقدات الدينية لاحقًا على التقاليد

الدينية العبرية والفينيقية. وقد نشأت كل هذه الممالك قبل ظهور الممالك العبرية، حيث كانت فلسطين موطناً للعديد من الشعوب والكيانات السياسية الأخرى.

حافظ الأموريون على تأثير كبير في المنطقة خلال الألفية الثالثة قبل الميلاد، مؤسسين العديد من المدن المهمة والمساهمة في التطور الثقافي للمنطقة. كما حكم فلسطين اليبوسيون، الذين سيطروا على القدس قبل غزو داود لها، وحافظوا على وجود قوي في المنطقة. حيث نجد أن ثقافتهم الحضرية المتطورة وقدراتهم الدفاعية موثقة في السجل الأثري، بما في ذلك أنظمة التحصين المثيرة للإعجاب.

وأما الممالك العبرية – التي ظهرت حوالي ١٠٠٠ قبل الميلاد– فقد شكلت فصلاً واحدًا في تاريخ فلسطين الطويل وليس بدايته. ومن ثمّ، يجب فهم الرواية التقليدية للملكية الموحدة تحت شاؤول وداود وسليمان عليهما السلام، تليها ممالك إسرائيل ويهوذا المنقسمة، في سياق التطور التاريخي الأوسع للمنطقة. حيث تشير الأدلة الأثرية إلى أن الانتقال إلى السيطرة العبرية كان أكثر تدرجًا وتعقيدًا مما تشير إليه الروايات التقليدية حيث تعايشت الممالك العبرية مع العديد من الشعوب والكيانات السياسية الأخرى وتفاعلت معها، بما في ذلك: الفينيقيون في الشمال، الذين حافظوا على دول مدن قوية وسيطروا على تجارة البحر المتوسط؛ والآراميون، الذين سيطروا على أراضٍ مهمة في الشمال الشرقي؛ والمؤابيون، والعمونيون، والأدوميون، الذين حافظوا على ممالكهم الخاصة في الشرق والجنوب.

ويمكننا تتبع ظهور الممالك اليهودية إلى حوالي ١٠٢٠ قبل الميلاد، رغم أن التاريخ الدقيق لا يزال موضع نقاش مستمر. حيث تمثل فترة المملكة المتحدة، المرتبطة تقليديًا بحكم شاؤول وداود وسليمان عليهما السلام، مرحلة حاسمة في تطور الهيكل السياسي اليهودي القديم. ولقد أدى انقسام المملكة بعد وفاة سليمان عليه السلام (حوالي ٩٣٠ قبل الميلاد) إلى نشوء كيانين سياسيين منفصلين: مملكة إسرائيل الشمالية ومملكة يهوذا الجنوبية. وكان لهذا الانقسام تداعيات عميقة على تطور التقاليد الدينية والثقافية لليهود. فمن ناحية حافظت المملكة الشمالية، وعاصمتها السامرة، على شبكات تجارية دولية مهمة وأظهرت نفوذًا سياسيًا كبيرًا حتى سقوطها على يد الإمبراطورية الآشورية

في ٧٢٢ قبل الميلاد. ومن ناحية أخرى، استمرت المملكة الجنوبية، التي تركزت حول القدس، حتى الغزو البابلي في ٥٨٦ قبل الميلاد، وهو الحدث الذي أدى إلى أول نفي رئيس لليهود.

وأما الفترة الإسلامية فقد بدأت مع الفتح العربي في ٦٣٧ ميلادية، وجلبت أبعادًا جديدة للنسيج الثقافي والاجتماعي لفلسطين. وهكذا، شهدت فلسطين تطورًا كبيرًا في العمارة والعلوم والتخطيط الحضري تحت حكم مختلف السلالات الإسلامية، من الأمويين إلى العثمانيين. كما شكل بناء قبة الصخرة والمسجد الأقصى في القدس رمزًا لأهمية المنطقة في الثقافة والتقاليد الإسلامية. أما الحكم العثماني لفلسطين، والذي استمر من ١٥١٦ إلى ١٩١٧، فقد شهد استقرارًا نسبيًا كما شهد التحديث الإداري. فلقد حافظ العثمانيون على نظام معقد للحكم احترم التقاليد المحلية مع دمج المنطقة في إمبراطوريتهم الأوسع. خلال هذه الفترة، تميزت فلسطين بالتنوع الديني والعرقي، حيث تعايشت المجتمعات المسلمة والمسيحية واليهودية تحت الإدارة العثمانية. ولكن مع تراجع الخلافة العثمانية، تقاسمت بريطانيا وفرنسا ما اعتبرته ممتلكات الخلافة العثمانية. وشهدت فلسطين فترة أخرى من تاريخها عُرفت بالانتداب.

وقد شكلت فترة الانتداب البريطاني (١٩٢٠-١٩٤٨) تحولاً مهمًا في تاريخ فلسطين، مما أدى إلى تغييرات ديموغرافية وسياسية كبيرة. وهكذا، أدى التأسيس اللاحق لإسرائيل وتهجير الفلسطينيين خلال النكبة (١٩٤٧-١٩٤٨) إلى تحول جذري في المشهد الاجتماعي والسياسي للمنطقة. وعانى الفلسطينيون من وعد بلفور، ومن أفكار الصهيونية التي دعت لإنشاء وطن قومي لليهود. وهكذا، وصل الحال بفلسطين إلى النكبة، اللحظة المحورية في التاريخ الفلسطيني، التي أدى إلى تهجير مئات الآلاف من الفلسطينيين والتحول الأساسي في الواقع الديموغرافي والسياسي للمنطقة. واستمر تأثير هذا الحدث على السياسة والمجتمع المعاصر في المنطقة.

لقد شكل ظهور الصهيونية في أواخر القرن التاسع عشر نقطة تحول محورية في التاريخ اليهودي، حيث مثلت ثورة في الفكر اليهودي واستجابة للتحديات التي واجهها يهود أوروبا. فلقد ظهرت الحركة خلال فترة من التغير الاجتماعي والسياسي العميق

في أوروبا، حيث اجتاحت القومية القارة واستمر معاداة السامية في تهديد المجتمعات اليهودية. وأما مصطلح "الصهيونية" نفسه، الذي صاغه ناثان بيرنباوم عام ١٨٩٠، فهو مشتق من كلمة "صهيون"، الإشارة التقليدية إلى القدس وإلى ما تزعم أنه "أرض إسرائيل". ومع ذلك، فإن جذور الحركة امتدت أعمق في التاريخ اليهودي، مستمدة من قرون من الارتباط الديني والثقافي بما اعتبرته "الوطن التاريخي".

تطورت الحركة على يد ثيودور هرتزل، وهو صحفي نمساوي، أضاف إلى هذه التطلعات وجعلها حركة سياسية منظمة. وكانت تجربته في تغطية قضية دريفوس في فرنسا تحولية، حيث شهد عمق معاداة السامية حتى في المجتمع الأوروبي الأكثر تنويرًا على ما يبدو. ومن هنا، أقنع مشهد ضابط عسكري يهودي يتهم زورًا بالخيانة، رغم خدمته الوطنية لفرنسا، هرتزل بأن الاندماج لن يحل "المسألة اليهودية". واستجابة لذلك، نشر هرتزل "دير جودنشتات" (الدولة اليهودية) عام ١٨٩٦، موضحًا رؤية لدولة قومية يهودية حديثة. كان نهجه سياسيًا ودبلوماسيًا في المقام الأول، سعيًا للاعتراف والدعم الدوليين للاستيطان اليهودي في فلسطين. وهكذا، عمل هرتزل بلا كلل، حيث التقى بقادة العالم ونظم المؤتمر الصهيوني الأول في بازل، سويسرا عام ١٨٩٧. وعليه، أسس هذا المؤتمر المنظمة الصهيونية العالمية ووضع برنامج بازل، الذي سيوجه جهود الحركة نحو إقامة وطن يهودي.

وفي الوقت الذي ركز هرتزل على الدبلوماسية السياسية، طور مفكر مؤثر آخر رؤية مختلفة للتجديد القومي اليهودي. حيث دعا آشر جينسبرج، الذي كتب تحت اسم مستعار: "أحاد هعام"، إلى ما أصبح يُعرف بالصهيونية الثقافية. وعلى عكس تركيز هرتزل على بناء الدولة، اعتقد أحاد هعام أن الشعب اليهودي كان بحاجة أولاً إلى نهضة روحية وثقافية. إذ تصور فلسطين كمركز ثقافي من شأنه أن يلهم ويجدد الحياة اليهودية في الشتات، مجادلاً بأنه بدون مثل هذا التجديد الثقافي، ستفتقر الدولة اليهودية إلى المعنى والاستدامة.

وهكذا، استمر التوتر بين الصهيونية السياسية والثقافية إلى أن نشأ اتجاه آخر من الفكر: "الصهيونية العمالية". هذه الحركة، التي ستجد أعظم تعبير لها في قيادة دافيد بن

جوريون، جمعت بين المُثل الاشتراكية والتطلعات القومية. أكدت الصهيونية العمالية على أهمية العمل اليهودي، والاستيطان الزراعي، وإنشاء مؤسسات اجتماعية جديدة. تحت قيادة بن جوريون، سيصبح هذا النهج مهيمناً في فترة ما قبل الدولة والسنوات الأولى من استقلال إسرائيل. كما شكلت العلاقة بين الصهيونية واليهودية التقليدية تحديًا كبيرًا آخر للحركة. حيث برز الحاخام أبراهام إسحاق كوك كشخصية مهمة في سد هذه الفجوة. بصفته أول حاخام أشكنازي أكبر لفلسطين تحت الانتداب البريطاني، طور إطارًا لاهوتيًا فسر الصهيونية كجزء من عملية خلاص إلهية. وعليه، قدم تفكيره شرعية دينية للمشروع الصهيوني مع الحفاظ على القيم اليهودية التقليدية، مما خلق ما أصبح يُعرف بالصهيونية الدينية.

لم تتوقف الصهيونية عند هذا الحد، فظهرت رؤية أكثر عسكرية وتوسعية للصهيونية من خلال فلاديمير (زئيف) جابوتنسكي والحركة التصحيحية التي أسسها. فلقد رفض جابوتنسكي التوجه الاشتراكي للصهيونية العمالية ودعا إلى نهج أكثر عدوانية لتحقيق الدولة اليهودية. كما أكد على التدريب العسكري والدفاع عن النفس، مجادلاً بأن الشعب اليهودي يمكنه تأمين مستقبله فقط من خلال القوة. وهكذا، أثرت أفكاره على القادة السياسيين الإسرائيليين اللاحقين وشكلت النقاشات حول الأمن والأراضي.

وتجلى نجاح الصهيونية في تشكيل إسرائيل عام ١٩٤٨، فلقد كان ذلك أعظم انتصار للحركة محققًا السيادة اليهودية، ولكنه أدى أيضًا إلى صراعات مستمرة مع الفلسطينيين والعرب في المنطقة. نجحت الصهيونية في صنع "وطن" لليهود، ولكنه وطن ممزوج بالدماء والقتل والعنصرية المستمرة، جاعلة من حياة الفلسطينيين نكبة مستمرة.

إن أصعب ما واجهه المترجم في هذا الكتاب ليس الجمل ولا التراكيب ولا الإشارات الثقافية، بل التذكرة بعجز طال أجيال بأكملها. فالحديث عن فلسطين حديث ذو شجن وألم؛ يحمل في طياته مشاعر مرتبكة من الذنب والعجز والأمل. ذلك أن بعض المجازر التي ارتكبها الاحتلال وذكرها المؤلف، وهو إسرائيلي يساري مناهض لإسرائيل ويعتبرها كيانًا استيطانيًا عنصريًا، بعض هذه المجازر لم يستطع المترجم أن

يشير إليها باستفاضة أو أن يذكر تفاصيلها كاملة لبشاعة ما ورد فيها من شهادات حتى في مصادرها الغربية ناهيك عن العربية. ربما لا نستطيع أن نفعل الكثير، ولكن أقل ما يمكن أن نفعله هو أن تظل فلسطين وقضيتها حاضرة في وعينا ووعي أبنائنا. وإن استطاعت إسرائيل أن تمحو أسماء المدن والقرى، وحتى إن استطاعت أن تمحو المدن نفسها، فلن تستطيع أن تمحو أي من ذلك من ذاكرتنا. فأي مشروع استيطاني نهايته إلى زوال وإن طال.

بقي لنا أن نشير إلى ان ملاحظات المترجم قد وُضعت في الهامش السفلي، بينما وضعت هوامش وملاحظات المؤلف في نهاية كل فصل.